فضيحة في بوهيميا

بقلم: آرثر كونان دويل

كان شرلوك هولمز يسميها دائما " المرأة ".. تقديرً لها وإعجاباً بها..

فقد كانت في نظره أشهر بنات حواء، وأبعدهن ذكاء واحدهن نظراً.

ولم يكن بالتأكيد يفعل ذلك العاطفة جامحة تولته نحو " إيرين أدلر "... فقد كان هولمز أبعد ما يكون عن العواطف والنزوات الخبية العابرة..

وكنت في المدة الأخيرة لا اجتمع إلى هولمز إلا غرارة... فرق بيننا زواجي.. لما انتقلت إلى منزل جديد أنا وزوجتي.. فما ظل هولمز قابعاً في منزلنا القديم في شارع باكر.. غارقاً في كتبه، وأبحاثه ومغامراته.. والمفاجآت التي كان يطلع بها على العالم بين وقت وآخر..

وكان كعادته كثير الاهتمام بالجرائم والأجرام.. يصرف نهاره في تتبع ما يعرض عليه منها، فيتأثر الأثر الذي لا يشاهده عامة الناس: ويخلق من الشبح شيئا منظوراً، ومن فشل سكوتلانديارد في اكتشاف جريمة من الجرائم نجاحاً ثابتاً بارزاً..

وكانت تصلني بين وقت وآخر أخباره وكيف كان يسافر إلى خارج لندن يتتبع اثر أو يطارد مجرما، ليعود بعد أيام ظافر مكللاً بالغار..

وفي ذات يوم.. وفي أثناء عودتي من عيادة مريض، مررت بالقرب من

منزله، و أحسست برغبة ملحة في زيارته، وسؤاله عن أحواله وصحته، وعما ينصرف له في الوقت الحاضر...

وكنت قد شاهدت من الشارع النور يضيء غرفته، بل لقد شاهدت خياله يذرع الغرفة جيئة وذهوبا، ولما كنت قد خبرته، و درست طرائقه وعاداته، فقد أدركت من النظرة الأولى... انه في سبيله لبحث قضية جديدة هامة..

قرعت الباب.. وبعد لحظات كنت ادخل إلى غرفته..

لم يكن استقباله حارة، ولا عرفت ذلك منه في يوم من الأيام.. كان أبداً باردة وان كنت اعلم في قرارة نفسي ان زيارتي تسره، وان اجتماعي إليه يرضيه كل الرضى..

أشار إلى مقعد قريب فجلست عليه ودفع إلي صندوق السيغار، وأشار إلى زجاجة من الشراب غير بعيد، ثم نظر إلي ملياً وقال:

– يبدو ان " ودلوك " قد أرضتك وأحسنت إليك، فقد ازددت فيها سمنة بما يقارب الأربع كيلوات ونصف..

قلت: لقد زدت أربعة فقط..

– لقد قدرت ان تكون الزيادة أكثر قليلا.. ثم أراك عدت إلى عملك الطبي.. وأعجب كيف لم تخبرني بأنك في سبيلك إلى ذلك .

– ولكن كيف عرفت..؟

– من النظر.. من الاستنتاج يا عزيزي.. وإلا فكيف اعرف أيضا انك

سرت تحت المطر الشديد منذ مدة قصيرة، وان خادمتك مهملة قليلة الاهتمام بواجباتها..

قلت: هذا كثير يا عزيزي هولمز.. ولو انك كنت حياً في القرون الوسطى، لأحرقوك بتهمة السحر والشعوذة.. وقد صدقت فما قلته عن سيري تحت المطر الشديد، فقد وقع هذا فعلا يوم الخميس الفائت، وعدت إلى البيت في حالة مرعبة، ولكني بدلت ثيابي، وليس يظهر عليه الآن اثر يدل على ذلك.. وأما خادمتي فهي كما تقول مهملة قليلة العناية بواجباتها، وقد أنذرتها زوجتي لتبحث عن مكان آخر، ولكني لا أزال اجهل كيف تمكنت من معرفة كل هذه الأمور الخاصة..

وهز رأسه، وفرك يديه وقال:

– ان ما قلته سهل التفسير، تستطيع العين أن تلاحظه، انظر إلى حذائك ترى آن جلده قد تعرض لبعض النتوء في أطرافه، وهي ما يقطع بأن شخصا قد قام بتنظيفه بشيء كثير من الإهمال وعدم العناية من الأوحال التي علقت به، وهو م يؤكد لي انك كنت منذ مدة قصيرة تحت المطر ومشيت فوق الأوحال، التي تحدثها نزول المطر عادة في الطريق، كما يدل في الوقت نفسه على ان خادمة البيت مهملة لم تحسن تنظيف الحذاء.. و أما كونك عدت إلى عملك من تطلب المرضى فان رائحة صبغة اليود تنبعث منك، كما تؤكد حالة قبعتك انك تستعملها لوضع بعض الأدوية فيها.. وانك تزاول مهنتك الطبية بصورة متتابعة منتظمة..

وضحكت حين رأيت سهولة الطريق التي توصل بواسطتها إلى

اكتشاف ما غمض على من حديثه، فقلت له:

– حين أسمعك تشرح ما قلته، أري الأمر سهلا جدة، بحيث أظن أن باستطاعتي القيام بمثله، حتى إذا حاولت لم أوفق، مع أن عيني مثل عينيك جودة ومضاء..

فقال: هو ما تقوله.. ولكنك لا تحاول الإفادة من قوة الملاحظة عندك، خذ مثلا درجات السلم المؤدي إلى شقتي هذه، كم مرة صعدت عليها ؟

– مئات المرات..

– كم عددها..؟

– إني لم أفكر بهذا أبداً..

– هذا هو الفرق بيني وبينك.. لقد شاهدت درجات السلم بعينك طبعا، ولكنك لم تحاول عدتها، وأما أنا فقد عددتها وهي تبلغ السبعة عشرة درجة، ولكن مالنا ولهذا الآن.. اقرأ هذه الورقة، فقد تهمك.. لأني اعرف انك تحاول تسجيل بعض المغامرات التي تعرض لي بين وقت وآخر.. وقد وصلتني هذه الرقعة في البريد الأخير.. .

ونظرت إلى الرقعة ولم تكن موقعة ولا ذكر لتاريخ اليوم الذي كتبت فيه .

وكانت كما يلي:

"سوف يزورك شخص في الساعة الثامنة مساء، ليستشيرك بأمر في

غاية الأهمية.. وان الخدمة التي قدمتها مؤخرا لإحدى العائلات الملكية الأوروبية تؤكد انك شخص يمكن أن يوثق به في مثل هذه الأمور الهامة.. فالمرجو ان تكون في منزلك في الساعة المذكورة، وان لا تتولاك الدهشة إذا رأيت الزائر مقنعة.."

قلت: هذه زيارة سرية غريبة.. فما الذي تظنه بها ؟

– لست اعرف شيئا عن القصة حتى الآن، وليس من عادتي ان احك على الأمور قبل الحصول على الوثائق اللازمة المتعلقة بها، فما الذي تستنجه انت من هذه الرسالة ؟

أخذت افحص الرسالة و الورق الذي كتبت عليه ثم قلت:

– لا بد أن كاتبها من الأثرياء، فالورق ثمين وليس يبتاع الناس العاديون مثله.. وأما الرسالة فهي قوية باردة..

فقال هولمز:

– أن الورق ليس انكليزياً بالتأكيد، ضعه أمام النور وانظر إليه..

فعلت.. وشاهدت على الأثر بعض الحروف التي نسجت على الورق أثناء صنعه.. ومضى هولمز يقول:

– ان هذه الحروف التي تقرأها تؤكد أن الورق ألماني قد صار صنعه في بوهيميا، وهي مقاطعة مشهورة بصنع الورق وأصناف الزجاج المختلفة، و من هذا نستطيع الاستنتاج بان الورق مصنوع في بوهيميا وان كاتب الرسالة الماني، وما علينا بعد هذا إلا أن ننتظر وصوله لنعرف ما يريده هذا

الرجل الألماني المقنع.. ولا بد انه قد وصل الآن ووقفت عربته أمام الباب..

وأخذنا في هذه اللحظة نسمع صوت عربة تقف أمام الباب حقا، ثم صوت الجرس يرن..

وتقدم هولمز ينظر من خلال النافذة ويقول:

– ولست أكتمك أن العربة التي تقل صاحبنا ثمينة جدة، يجرها جوادان أصيلان.. لا بد أن ثمن الواحد منها لا يقل عن مائة و خمسين جنيها، ولا أكتمك يا وطسون أيضا انه يوجد مال في هذه القضية، إذا لم يكن هناك شيء آخر..

قلت: الأفضل ان اذهب يا هولمز..

– بالعكس يا دكتور.. ابق في مكانك، فاني لا اعرف ما اعمل في غيابك، ولا بد أن تكون هذه القضية مثيرة، و من الخط أن لا تشارك فيها..

– وإذا اعترض الزائر..؟

لا يهمنك أمره.. فأنا بحاجة إلى مساعدتك، و كذلك هو، لقد وصل.. فاجلس في هذا المقعد، واستمع الحديث الذي سوف يجري..

وسمعت على الأثر وقع خطوات ثابتة تقف أمام باب الغرفة.. ثم صوت قرع على الباب..

وصاح هولمز:

– تفضل ادخل..

ودخل إلى الغرفة رجل طويل القامة، يرتدي أغلى الثياب واثنها، يضع على وجهه قناعا، ويدل مظهره على انه من كبار الناس، فلما توسط الغرفة قال بصوت قوي، و نبرة ألمانية:

أظن انك تلقيت رسالتي.. ونظر إلينا لا يعرف إلى أينا يوجه كلامه.. فأسرع هولمز يقول:

– تفضل بالجلوس.. فهذا زميلي وصديقي الدكتور وطسون، والذي يساعدني أحيانا في القضايا التي تعرض علي، ولكني لم احصل على شرف التعرف عليك..

فقال الزائر:

– باستطاعتك أن تدعوني باسم الكونت فون كرام، احد نبلاء بوهيميا.. واعتقد ان صديقك رجل يمكن الاعتماد عليه في كتان ما يسمعه، لان القضية التي سوف اطلب مساعدتك فيها على جانب عظيم من الأهمية، فان لم يكن كذلك فاني أفضل ان أتحدث إليك على انفراد...

وقفت أتأهب لمغادرة الغرفة، ولكن هولمز امسكني من ساعدي، وأعادني إلى مقعدي وهو يقول:

– أما ان تتحدث إلينا معا، أو لا تتحدث إلينا أبدا.. لان باستطاعتك ان تقول أمام هذا الرجل جميع م ا تريد أن تقوله لي..

وهز الكونت كتفيه ومضى يقول:

– إذا سوف ابدأ حديثي.. راجيا أن تكتم الحديث الذي يدور بيننا الآن مدة سنتين من هذا التاريخ.. وعندئذ يصبح نشر الخبر لا قيمة له.. أما الآن فانه من الخطورة بحيث يؤثر – على تاريخ أوروبا، فيا إذا انتشر وشاع بين الناس..

وقال هولمز: – إني أعدك بذلك..

وقلت بدوري: –

وأنا أعدك بذلك..

ومضى الكونت يقول:

– وأريد ان تعرف أن الرجل الذي كلفني بهذه المهمة يريد آن أظل مجهولا عندكم، ولا أكتمك ان الاسم الذي أعطيته ليس اسمي الحقيقي..

فقال هولمز: اعرف ذلك..

– ولتعلم أن القضية دقيقة جدا، وهي تتعلق بعائلة اورمستين ملوك بوهيميا..

وقال هولمز: لقد فطنت إلى ذلك أيضاً..

وبعد ان نظر هولمز إلى الرجل الضخم ملياً هتف يقول:

– إذا تفضلت يا صاحب الجلالة ببسط المشكلة، فقد يكون باستطاعتي مساعدتك في حلها، أو إسداء النصح إليك بشأنها..

وقفز الرجل من مقعده لما سمع هذا الكلام، ثم مد يده فنزع قناعه عن

وجهه وهو يقول:

– انت على حق فانا الملك.. ولا ادري لماذا حاولت إخفاء شخصيتي..

وقال هولمز: وهذا ما حيرني أيضا

.. فقد عرفت شخصك منذ بدأت حديثك، وعلمت ان زائري ليس غير ويلهام فون اور مستين ملك بوهيميا..

وقال الملك:

– ولكن يجب أن تعلم أني لست معتادة على القيام بمثل هذه الأعمال بنفسي، ولكن الأمر كان من الدقة، بحيث لم يكن باستطاعتي تكليف احد به، مخافة أن يستثمر معرفته للسر في المستقبل، ولهذا جئت متنكرة من براغ إلى لندن لزيارتك، واستشارتك..

إذن تفضل...

– لن يستغرق سرد الوقائع طويلا.. فمنذ خمس سنوات، وأثناء رحلة قمت بها إلى "فرصوفيا" عاصمة بولونيا، تعرفت على الفتاة المغامرة " ابرين ادلر ".. ولا بد انك سمعت باسمها..

وقال هولمز:

– نعم لقد سمعت باسمها.. واعرف أنها ممثلة بارعة، وكانت الممثلة الأولى في الأوبرا الملكية في فرصوفيا، وهي تعيش اليوم في لندن، بعد اعتزالها المسرح والتمثيل، ولا بد أن جلالتك قد اتصل بهذه الفتاة، وكتب

لها بعض التحارير، وهو يريد الآن استرجاعها..

– هذه هي الحقيقة.. ولكن كيف عرفت ذلك ؟

– هل تم بينكما تعاقد على زواج سري.. ؟

– أبداً..

– ولا عندها أوراق ولا اتفاقات..

– لا..

– وإذن فليس هناك خطورة في الرسائل التي تملكها، ولو أنها حاولت استغلالها، فكيف تستطيع إقناع احد بأنها رسائل حقيقية..

– ان خطي يكشف عن حقيقتي..

– نقول أن الخط مقلد...

– ولكن الرسائل مكتوبة على الورق الخاص بي..

– تدعي أنه سرق من قصرك..

– وخاتمي...؟

– مزور أيضا

– صورتي..؟

– صار شراؤها من احد المصورين..

وقال الملك:.

– ولكننا كنا معا في الصورة..

وقال هولمز:

– هذا أمر مؤسف بالتأكيد.. لقد أخطأت كثيرة حين تهاونت و تساهلت معها إلى هذا الحد..

– كنت مجنونة..

– لقد ضيقت الخناق على نفسك..

– كنت وليا للعهد.. وكنت صغيرة.. وأنا الآن في الثلاثين من العمر..

– إذن يجب استرجاع الرسائل..

– لقد حاولنا وفشلنا..

– عليك أن تشتريها..

– لقد رفضت بيعها..

– عليك أن تسرقها..

– لقد حاولنا سرقتها خمس مرات فلم نوفق.. فقد أرسلت بعض اللصوص مرتين إلى منزلها، فلم يقدروا على شيء، وفي الثالثة استولينا على حقائبها وفتشناها فلم نجد فيها شيئا، وكذلك كان الحال في المرتين الأخيرتين..

– الم تعثروا للرسائل على اثر في كل هذه الحالات ؟

– ابدأ..

وضحك هولمز وهو يقول:

– أنها لقضية صغيرة معقدة..

– ولكنها خطيرة جداً..

– طبعا.. طبعا.. وما الذي تريد هذه الفتاة عمله بالصورة

– تريد تدميري وهدم حياتي..

– ولكن كيف ؟

– لأني في سبيلي للزواج..

– هذا ما سمعته..

– وسوف أتزوج ابنة ملك اسكندينافيا الثانية، وعائلتها مشهورة بالمحافظة، وخطيبتي لا تقل عن عائلتها حفاظا على الشرف والسمعة الحسنة.. فإذا عرفت بعلاقتي مع الفتاة الأناقة، فاني سأفقدها بالتأكيد..

– وما موقف " ايرن ادلر " من كل هذا ؟

– هددت بإرسال الصورة إلى عائلة الفتاة، وأنا واثق أنها سوف تفعل.. فأنت لا تعرفها

.. أنها عنيدة، كأنما قدت روحها من الفولاذ.. تملك أجمل وجه رأيته، وتنعم باقسى قلب صادفته، وهي ستحاول كل شيء حتى لا أتزوج امرأة أخرى..

– هل انت واثق أنها لم ترسل الصورة والرسائل حتى الآن؟

– نعم..

– لماذا ؟

– لأنها أعلنت أنها سوف تفعل ذلك عند إعلان عقد الزواج رسمية، وسيكون هذا يوم الاثنين القادم..

وقال هولمز:

– إذا يزال أمامنا ثلاثة أيام.. وهذا من حظنا، لان هناك بعض المشاكل الصغيرة التي يجب علي تصفيتها.. وأظن ان جلالتك ستظل في لندن خلال هذه الأيام الثلاثة ؟

– نعم وستجدني في فندق لا نفهام، تحت اسم الكونت فون كرام..

– إذن سوف أطلعك على تطور الأمور، وحين يحدث ما يستحق الذكر..

– أكون شاكرا إذا فعلت لأني في قلق عظيم .

– إذن لنبحث مسألة المصارفات..

– لك أن تصرف بدون حساب..

– إذن أرجو ان تقدم لي مبلغا للمصارفات الأولية والطارئة .

وأخرج الملك من جيبه كيسا وهو يقول: – ستجد فيه ثلاثمائة جنيه ذهبا، وسبعمائة أوراق نقدية..

أعطاه هولمز وصلا بالمبلغ، ثم سأله:

– وعنوان الآنسة أدلر ؟

– أنها في "بريوني لودج "... في شارع سر بنيتي..

– سؤال آخر يا صاحب الجلالة.. هل الصورة كبيرة أم صغيرة ؟

– أنها كبيرة..

– إذن إلى الملتقى يا سيدي، وأرجو ان احمل إليك بعض الأخبار السارة قريبا..

عدت في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي لزيارة صديقي هولمز فلم أجده..

وقد أخبرتني الخادم أنه غادر المنزل في الثامنة صباحا، ولم يعد إليه حتى الآن..

وفي الساعة الرابعة اقتحم الغرفة عامل يتعثر في مشيته من شدة السكر، ومع إني كنت اعرف براعة هولمز في التنكر، إلا إني اضطررت إلى التحديق في وجه القادم أكثر من ثلاث مرات قبل أن أطمئن إلى انه هو..

رفع يده إلي مسلمة ومضى إلى غرفته، وبعد دقائق عاد إليّ وقد بدل ثيابه وأزال المراهم عن وجهه.. وجلس إلى الموقد، وبسط قدميه، ثم اخذ يضحك طويلا..

سألته: ما الخبر..؟

فقال: لقد قضيت نهاراً مضحكاً، لا يمكن أن يخطر على بالك ما فعلته فيه.. .

– لا بد انك كنت تراقب منزل الآنسة ايوين ادلر..؟

– هو ما تقول.. لقد غادرت المنزل صباحا في ثياب سانس يبحث عن عمل.. والناس يعطفون على هذا النوع من العمال، وذهبت إلى المنزل الذي تسكنه الفتاة، وهو واقع في وسط حديقة تشرف على الطريق، ويتألف من طابقين.. أثاثه ثمين جميل، وغرفه واسعة مثل صالته، تملأ أطرافه النوافذ الواسعة التي تصل إلى الأرض.. درت حوله افحصه.. فلم أجد شيئا مهما.. عدت إلى الطريق فوجدت إسطبلاً– كما توقعت – يجاور الحديقة، ساعدت السواس في عملهم، و مسحت لهم جيادهم، فأعطوني بنسين وقدحا من الشراب، وبعض الدخان، ومعلومات جديدة عن الانسة.. وعن الجيران الذين يسكنون هذا الشارع، وقد اضطررت طبعا لسماع قصص الجميع حتى لا أثير شكوك المتكلمين..

« وقد عرفت فيما عرفته عن الآنسة ادلر... أنها قد أثارت اهتمام كل سكان الشارع بجمالها، تعيش حياة هادئة، وتغني في بعض الحفلات، وتغادر منزلها في عربتها عند الساعة الخامسة، التعود في السابعة، ولا تعود تغادر المنزل إلا حين يكون هناك حفلة أو سهرة عليها أن تغني بها..

يزورها شخص واحد، مرة أو مرتين في النهار الواحد، جميل الصورة، يدعي المستر غودفري نورتون، وبعد ان عرفت كل ما أريده، غادرت الاسطبل لا درس خطتي، وأقرر ما يجب على القيام به..

وقد علمت فما علمته أيضا أن المستر نورتون هذا من المحامين، أو كان من المحامين.. وقد سألت نفسي كثيرة عن الغرض من زياراته الكثيرة هذه، أهي لبعض الشؤون القضائية، ام هي من قبيل الصدفة، أم أنها عشقته....

« فان كان الأول فلا بد أنها قد أعطته الصورة ليحتفظ بها عنده في مكتبه... وإذا كان صديقها أو عشيقها، فمن المعقول جدا... أن تكون الصورة عندها وفي حوزتها.. وعلى معرفة الجواب لهذين الجوابين.. كانت تتوقف خطتي.. فأما آن اهتم بالآنسة، أو اتركها وشأنها، واصرف اهتمامي للمحامي الذي لا بد أن يكون محتفظا بالصورة.. والذي يسكن في شارع التامبل..

"وفيما كنت في شأني هذا أقبلت عربة، ووقفت أمام منزل الآنسة، وخرج منها شاب جميل الصورة جدا، ادر كت انه لا بد أن يكون المستر نورتون.. وقد لحظت لتوي أنه كان في عجلة من أمره، صاح بالسائق ينتظره، وأزاح الخادمة التي فتحت له الباب من طريقه، واندفع للداخل، مما يقطع بأنه من رواد المنزل، وان له شأنا فيه..

"وقفت أراقبه من خلال النوافذ التي تطل على الطريق كما أخبرتك، والتي كانت واسعة تصل إلى الأرض، كان ظاهر الاهتمام يتحدث محرك يديه وهو يذرع الصالة التي استقبلته الآنسة فيها.. ولكني لم أكن أراها من مكاني... كانت تجلس على مقعد بالتأكيد.. فما ظل "نورتون" واقفا...

وبعد نصف ساعة غادر المنزل متعجلا كما فعل وهو يدخله، وصاح

بالسائق وهو ينظر إلى ساعته:

– ادفع جهادك كالمجنون، أولاً إلى "غروس وهانكي" في شارع وجنت، ثم إلى كنيسة القديسة مونيكا في شارع أرجوار.. وسأعطيك نصف جنيه إذا بلغت المكانين في عشرين دقيقة..

« ومضت العربة.. ووقفت في مكاني أفكر فيما يجب على عمله... حتى لقد فكرت في اقتفاء أثره وتتبع خطواته..

«وفيما أنا في ذلك، أقبلت عربة جميلة، وقفت أمام المنزل، فخرجت الآنسة واستقلت العربة وهي تقول للسائق:

– إلي كنيسة القديسة مونيكا.. وسأعطيك خمس شلنات إذا وصلت إلى المكان في عشرين دقيقة..

« وما كادت تمضي العربة حتى تطلعت حولي فشاهدت عربة مقبلة، فأسرعت اركبها طالبة من السائق أن يذهب بي إلى الكنيسة المذكورة..

لما وصلت إلى الكنيسة لم أشاهد إنسان فيها غير الآنسة ونورتون.. يتحدثان إلي احد الكهنة...

" وفيما كنت أتقدم نحو هم متظاهرة باني في سبيلي للصلاة في الكنيسة، لعلي اسمع ما يدور من حديث، التفت نورتون خلفه فشاهدني فصاح وهو يسرع نحوي:

– حمداً لله.. تعال فانك تصلح لغرضنا..

" قلت: ما الخير ؟

" تعال.. تعال.. أن الأمر لن يستغرق ثلاث دقائق ولكن وجودك يجعله قانونياً..

" وكان أن جرى نحو المذبح.. وإذا بي أجد نفسي بعد قليل اشهد عقد قران نورتون على الآنسة أدلر، وكان الكاهن قد رفض أن يعقد قرانهما إلا بحضور احد الشهود، و كنت انا ذلك الشاهد الذي أنقذ الموقف، ووقف نورتون بعد عقد القران هو والآنسة أدلر، يشكراني بحرارة على خدمتي هذه.."

قلت: يا للعجب.. وما الذي حدث بعد ذلك ؟

– لقد وجدت خطتي مهددة بالانهيار، فقد يغادر العروسان مثلا انكلترا إلى الخارج حالا لقضاء شهر العسل، وكان أن حرت في أمري، وفيما كانت الفتاة تودع نورتون، لتعود إلى منزلها، سمعتها تقول.. أنها ستكون في البارك الساعة الخامسة كالعادة، ثم افترقا، وغادرت أنا الكنيسة بدوري، حيث ذهبت إلى بار قريب تناولت فيها بعض الطعام و قدحا من البيرا، حتى استقر راني على الطريق الذي يجب ان اسلكه.. وهذه المناسبة أنا بحاجة إلى مساعدتك يا وطسون..

– إني ابدأ في خدمتك..

– وأظن انك لا تمانع في خرق القانون ؟

– لا أبدا..

وليس يهمك أن تعرض نفسك لإلقاء القبض عليك ؟

– إذا كان الغرض شريفا فلا..

– ان الغرض شريف بالتأكيد...

– إذن أنا تحت أمرك..

– لقد كنت واثقة انك لن تخذلني..

– وما الذي علينا عمله ؟

– علينا أن نكون في الساعة السابعة أمام منزل إيرن أدلر، أو مسز نورتون..

– ثم ماذا ؟

– دع هذا الوقت المناسب.. كل ما أسألك أن لا تتدخل مهما كانت الظروف..

– إذا على ان أقف على الحياد..؟

– نعم.. لا تحاول التدخل.. فقد تحدث أمور عليك أن تظل بعيدا عنها، وتنتهي بإدخالي إلى البيت، وبعد دقائق قليلة ستفتح نافذة الصالة المطلة على الطريق، فعليك أن تكون تحت نافذة هذه الصالة..

– نعم..

– وعليك أن تراقبني.. لأنك سوف تراني من مكانك..

– نعم..

– وحين ارفع يدي، عليك أن تقذف إلى الغرفة بالشيء الذي سوف

أعطيك إياه وان تصبح في الوقت نفسه صارخا.. الحريق.. الحريق.. هل فهمت غرضي..

– نعم..

– وطبعاً لن يكون هناك حريق حقا ولا من يحزنون.. كل ما في الأمر أن هذا الشيء الذي سوف تقذفه إلى الصالة سيكون عبارة عن قنبلة صغيرة، تثير عاصفة من الدخان، فإذا صحت تنادي.. الحريق.. الحريق.. فان جماعة من الناس يقفون غير بعيد منك، سوف يتحركون ويقبلون نحو المنزل، فعليك انت ان تغادر مكانك عندئذ، وتنتظرني في آخر الشارع، حيث ألحق بك بعد عشر دقائق من الزمن..

– باستطاعتك الاعتماد على..

تركني وذهب إلى غرفته.. ليعود بعد قليل في ملابس احد الكهنة، فعجبت لقدرته الفائقة على التنكر، وأخذت اضحك لهذه البراعة، سائلا نفسي: ترى ما الذي هو في سبيله، و كيف سيصل إلى الصورة المطلوبة..؟

وفي الساعة السادسة والربع غادرنا المنزل، فوصلنا إلى منزل ايرين أدلر قبل السابعة بدقائق، وكان الليل قد إقبال، وخيم الظلام على لندن، فوقفنا في طرف الشارع ننتظر الآنسة، وقد شاهدنا في طرف آخر من الشارع جماعة يدخنون ويتندرون ويتحدثون إلى بعضهم بعضا، وكانوا من العامة فقد كانت ملابسهم وهيئتهم تؤيد ذلك وتؤكده..

وقال هولمز ليقطع الوقت:

– والواقع أن هذا الزواج سوف يخدم قضيتنا، لأني لا اعتقد أن الآنسة سوف تحاول إثارة فضيحة هي في غني عنها، وقد تهدم زواجها، والمهم الآن أين نجد هذه الصورة، وفي أي مكان وضعتها ؟

ومن المستبعد أن تحملها معها مثلا، فهي صورة كبيرة كما عرفت من صديقنا، ومن الصعب إخفاؤها في محفظة من محافظ اليد، خصوصا وهي تعلم أن باستطاعة الملك إرسال من يتعرض لها في الطريق، ويختطف المحفظة ثم يولي هاربة، وقد حدثت محاولتان من هذا النوع، فلم يعثروا على الصورة، وإذا فهي لا تحملها معها..

– أين تظنها وضعتها ؟

– يجوز أن تكون قد وضعتها في احد المصارف، أو عند محاميها، ولكن الذي اعتقده أنها لم تضعها في هذين المكانين.. فالنساء يفضلن الاحتفاظ بأسرارهن، ولما كانت قد هددت باستعمالها قريبا، فلا بد أن تكون الصورة في متناول يدها، وإذا فهي في المنزل حتما..

– لقد حاولوا سرقة المنزل مرتين..

– ولكنهم أخطأوا في البحث عنها في المكان المطلوب..

– وكيف ستجد انت الصورة ؟

– إني لن أحاول البحث عنها..

– ما هذا الكلام.. ماذا ستفعل إذا ؟

– سأتركها تدلني عليها..

– ولكنها سترفض..

– أنها لن تستطيع ذلك.. ثم إني اسمع صوت عربة تقترب منا، ولا بد أن تكون سيارتها، فهيا بنا للعمل..

وافترقنا.. ووقفت العربة أمام المنزل، وأسرع احد المتعطلين من الشباب الذين كانوا يقفون غ ير بعيد عن المنزل يفتح باب العربة لعله يحصل على بنس أو أكثر.. ولكن متشردا آخر دفعه ليحل محله، فاختلفا، واشتد الخلاف، بسبب اشتراك الحارسين في الخصومة، وانضمام كل واحد منهما إلى احد المتخاصمين، يساعده على رفيقه الآخر، وامتدت الأيدي بالضرب، وأصبحت الآنسة في وسط معركة حامية لا شأن لها فيها، وأسرع هولمز لحماية السيدة، ولكنه م اكاد يصل إليها، حتى صرخ وسقط أرضا، وقد اخذ الدم ينزف من وجهه.. وكان ان أسرع المتخاصمون بالهرب، خوفا من قدوم البوليس..

وعندئذ تدخل الرجال الذين يقفون بعيدا، وأسرعوا المساعدة الكاهن، الذي لم يكن غير هولمز... وصاحت الآنسة تسأل احدهم:

– هل أصيب السيد بجراحة خطيرة ؟ وأجاب بعضهم:

– لقد مات..

وصاح آخر:

– بل هو حي.. ولكنه سيموت قبل أن نذهب به إلى احد المستشفيات...

وقالت سيدة في هذه اللحظة:

– لقد كان جريئا ولولاه لاختطفوا محفظة السيدة.. وقال أحد الرجال:

– من الخطر تركه في الشارع فهل تسمحين لنا بحمله إلى المنزل.. ؟

ووافقت الآنسة، وحمل هولمز إلى الصالة التي تطل نوافذها

على الطريق... فيما لبثت مكاني لا أحرك ساكنا ولا أتدخل.. كما وعدت هولمز ان افعل.. ولولا هذا الوعد لتدخلت، فما كان من الحق آن اترك صديقي جريحا ولا أتدخل لمعالجته كطبيب..

ولكني ضبطت أعصابي وأنا خجل من نفسي.. و أضيء النور في هذه اللحظة في الصالة، وشاهدت هولمز ممددة على احد المقاعد، وأسرعت خادمة تفتح النافذة، وعندئذ رفع هولمز بده.. فقذفت بالقنبلة التي كنت احملها في جيبي إلى الداخل.. وأخذت اصرخ... نار.. حريق..

واخذ الدخان على الأثر ملأ الصالة، ومضى الذين في الشارع يصرخون أيضا.. ثم سمعت بعد لحظات صوت " هولمز" من الداخل، فاطمأنيت وأسرعت إلى طرف الشارع، وبعد عشر دقائق كان هولمز يمسك بساعدي وهو يقول:

لقد مثلت دورك على أحسن ما يرام..

– هل حصلت على الصورة.. ؟

– لا.. ولكني اعرف مكانها..

– وكيف عرفت ذلك ؟

– لقد أرتني مكانها هي بنفسها..

– وكيف حصل ذلك.. ؟

– لا بد انك لحظت أن كل من كان في الشارع من أعواني وقد استأجرتهم جميعاً لتنفيذ خطتي... من المتخاصمين، إلى الذين أسرعوا لمساعدتي، إلى الذي قال بضرورة إدخالي إلى المنزل..

« وقد كنت طبعا قد استعديت للمعركة التي دبرتها، واتفقت مع رجالي على تمثيل أدوارها، فلما بدأت، كنت قد وضعت في يدي نوعا من الخبر الأحمر الذي يشبه الدم، فلما أصبحت بين المتخاصمين، تظاهرت بأني أصبت، ووقعت إلى الأرض بعد أن وضعت السائل الأحمر على وجهي ليتوهم من براني أنه دم..

« وكان أن نقلوني إلى الصالة التي كنت أتوقع ان تكون الصورة فيها، وعندئذ طلبت فتح النافذة ففتحت، وألقيت انت بالقنبلة المزيفة، وتصاعد الدخان عند وقوعها على الأرض، وصاح الناس، نار... وحريق.. والمرأة صاحبة المنزل في مثل هذه الحالات، وحين يقع حريق في منزلها، تسرع إلى إنقاذ الشيء الذي تعتقد انه أثمن ما عندها، وقد أسرعت الآنسة " أدلر" إلى حيث كانت الصورة موضوعة خلف رسم في الحائط، فوق الجرس، وفتحت الصورة من خلفها، فعرفت عندئذ مكانها، وصحت في هذه اللحظة.. ان ليس هناك حريق، فردت كل شيء إلى مكانه، و نظرت إلى القنبلة التي كانت لا تزال على الأرض، ثم أسرعت إلى غرفتها، فلم

تخرج منها..

عندئذ تحركت من مكاني، واعتذرت للخادمة، وقلت اني في سبيلي إلى المستشفى، وجئت إليك..

ثم ماذا ؟

– لقد انتهى الأمر، وسوف نزور الآنسة غداً أنا وأنت والملك، إذا كنت تر.. القدوم معنا، ونطلب مقابلة الآنسة، وقبل أن تأتي الآنسة لمقابلتنا، نكون قد حصلنا على الصورة، وذهبنا في سبيلنا..

– ومتي ستقوم بهذه الزيارة ؟

– غدا الساعة الثامنة.. لأنها لا تفيق باكراً، ويكون عندنا الوقت الكافي لعمل ما تريده، والعودة من حيث أتينا، قبل أن تنتهي من ارتداء ملابسها لاستقبالنا..

وكنا قد وصلنا إلى شقته في هذه اللحظة، وفيما هو يبحث عن مفتاح الباب، سمع شخصا يقول:

– مساء الخير يا مستر شرلوك هولمز..

وتطلعنا حولنا نبحث عن هذا الشخص، فشاهدنا عددا من الناس يسيرون على الرصيف، وقررنا أن الذي ألقى على هولمز السلام لا بد أن يكون الشاب الدقيق الجسم الذي كان يسرع ماضية في سبيله..

وجمد هولمز في مكانه قليلا وهو يقول: – لقد سمعت هذا الصوت قبلا.. ولكن من يكون ؟

قضيت الليل في شقة صديقي هولمز.. ولما كان الصباح، وجلسنا نتناول طعام الإفطار اقبل الملك، وهتف يقول: – هل حصلت عليها حقا ؟

لا.. لم احصل عليها حتى الآن..

– ولكنك تأمل في الحصول عليها..؟

– طبعا..

– لنذهب... فاني لم أعد أستطيع صبراً..

ومضينا إلي مركبة الملك التي كانت بانتظارنا، وفي الطريق قال هولمز:

– لقد تزوجت إيرين أدلر..

– وقال الملك بدهشة:

– – تزوجت.. متى..؟

– – البارحة..

– – تزوجت من ؟

احد المحامين الشباب الانكليز.. يدعى نورتون..

– ولكنها لا يمكن أن تكون تحبه...

– أرجو ان تكون تحبه.. فقال الملك: – ولماذا هذا الرجاء.. ؟

– لان هذا يجنب جلالتك المشاكل في المستقبل.. فإذا كانت السيدة تحب زوجها، فمعنى هذا أنها لا تحبك، أو لم تعد تحبك.. وإذا لم تكن

تحبك، فليس هناك من سبب يدفعها إلى الوقوف في وجه زواجك..

– هذا صحيح.. وأرجو ان يكون صحيحة، ولو أنها كانت عريقة النسب لما استبدلتها بسواها..

وجدنا باب المنزل مفتوحا، وقد استقبلتنا على بابه سيدة عجوز راحت تراقبنا ونحن ننزل من العربة..

قالت لما وقفنا أمام الباب:

– المستر شرلوك هولمز..؟

ودهش هولمز وقال:

– أنا شرلوك هولمز..

– لقد أخبرتني سيدتي أنها تنتظر أن تزورها في هذا الصباح، ولكنها غادرت لندن مع زوجها إلى أوروبا في قطار الساعة

الخامسة والربع...

– أتريدين أن تقولي إنها غادرت انكلترا..

– نعم . ولن تعود إليها بعد اليوم..

وقال الملك بحزن:

– لقد خسرنا كل شيء..

– وقال هولمز:

– سوف نرى..

وتقدم نحو الصالة، وأزاح الصورة، ثم رفع قطعة من الخشب في الجدار، فظهرت ثغرة، مد يده إليها، فعثر على مظروف كتب عليه ما يلي:

« إلى المستر شرلوك هولمز..

« يترك في مكانه، حتى يأتي هو بنفسه لاستلامه.. وكان تاريخه منتصف ليلة البارحة وقد جاء فيه ما يلي:

« عزيزي شرلوك هولمز..

« لقد نجحت البارحة نجاحا عظيمة في حيلتك.. حتى لقد أذهلتني وروعتني، وجعلتني افضح سري.. وعندئذ أخذت أفكر، وقد كانوا حذروني منك منذ أشهر، واخبروني أنه إذا أراد الملك تكليف شخص لاستعادة الصورة و الرسائل، فسوف يكون هذا الشخص انت.. وأعطوني عنوانك ومع كل هذا فقد جعلتني افقد أعصابي، وافضح المكان الذي خبأت فيه الصورة و الرسائل.. وحتى بعد ان ساورتني الشكوك وجدت من الصعب ان اصدق ان احد رجال الدين يقوم بالعمل الذي قمت به... أو ظننت أنك تقوم به..

« ولكنك تعلم أني قد تدربت على التمثيل، وقد تعودت على ارتداء ملابس الرجال، فأمرت عندئذ سائق عربتي مراقبتك، وأسرعت إلى غرفتي حيث ارتديت بذلة رجالية، ونزلت إلى الطابق الأول في الوقت الذي كنت انت فيه تهم مغادرة المنزل..

« تبعتك إلى منزلك، وتأكدت عندئذ من اهتمام هولمز الشهير بي.. ثم سلمت عليك وأسرعت لا ألوي على شيء.. إلي حيث يقيم زوجي..

« وقد قررنا بعد بحث الموضوع ان أفضل حل لمشكلتنا، وذلك بعد أن أخذ رجل مثلك يهتم بي، أن نغادر انكلترا.. ولهذا فستجد العش خالية، حينما تزورني غدا إلا بد ان تفعل...

« وأما الصورة فليطمئن صاحبك روعة بشأنها، فاني لن أحاول مضايقته بها، فاني أحب و يحبني شخص أفضل منه، ولسه في احتفظ بالصورة للمحافظة على نفسي فما إذا حاول صاحبك الإساءة إليه، وسأترك له مكانها صورة لي، إذا كان يرغب في الاحتفاظ بها..

وتفضل بقبول فائق احتراماتي يا عزيزي شرلوك هولمز..

ايرين نورتون..

– صاح الملك:

– أي امرأة هذه.. لو كانت تماثلني نسبة لتزوجتها وجعلت منها ملكة..

وقال هولمز:

– إني متأسف أفشلي، ولعدم استطاعتي إعادة الصورة إليك..

وصاح الملك:

– على العكس يا عزيزي.. لقد نجحت نجاحاً عظيماً، فاني اعرف ايرين، واعرف أنها عند قولها دائما وأبداً، والصورة عندها، كما لو كانت عندي، ولن يصار إلى استغلالها أبدا..

– يسرني أن اسمع منك هذا الكلام..

وقال الملك: ولتعلم انك خدمتني اجل خدمة، فاطلب ما تريده مني..

وانتزع خاتم ثمينا من أصبعه وقدمه إني هولمز..

ولكن هذا اعتذر عن أخذه قائلا:

– هناك شيء أفضله على هذا..

– اذكره يكن لك..

– هذه الصورة..

ونظر إليه الملك دهشاً وقال:

– صورة ايرين.. تفضل إذا كنت تريدها..

وصافح هولمز الملك، واستدار عائدا إلى منزله..

وكان هولمز بعد هذه الحادثة، لا يذكر "ايرين ادلر" إلا باسم المرأة، مقدرة ذكائها، معجبة ببراعتها .